**أبو الطيب المتنبي**

**(303ه - 354ه )**

**((واحَرّ قَلْباهُ))**

**قال يعاتب سيف الدولة**

واحَرّ قَلْباهُ ممّــــــــــنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ  
يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ  
سَيعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا بأنّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ  
أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ  
أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ  
إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ  
الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني وَالسّيفُ والرُمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ  
يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ

1. الشبِم:البارد يقول : واحر قلبي واحتراقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل عليّ ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعاني وأقاسي فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده فيّ.
2. يقول :أنت اعدل الناس إلا أذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحاكمك إلى غيرك ، وانما أستعدي عليك حكمك والخصام وقع فيك . واذن كيف ينتصف منك ؟ وهذه الشكوى مفرطة لأنه كان عدلاً في الناس كلهم إلا في معامتله فقد وصفه بأقبح الجور .
3. يقول : إن الاعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبي ،وكذلك الأصم سمع شعري ، يعني : ان شعره سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الاعمى والأصم أدبه .
4. الشوارد :سائر الأشعار يقول : أنا أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لاني ادركها متى شئت بسهولة ، أما غيري من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالاً ويجتلبونها استكراهاً .
5. يقول :إذا كشر الاسد عن نابه فليس ذلك تبسماً بل قصداً للافتراس .
6. البيداء : الفلاة ؛ وتعرفني : تشهد لي ، والقرطاس : الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها . يقول : الليل يعرفني لكثرة سراي فيه والخيل تعرفني لتقدمي في فروسيتها ، والبيداء تعرفني لمداومتي قطعها واستسهالي صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقي في الضرب بهما ، والقِراطيس تشهد لإحاطتي بما فيها ، والقلم عالم بإبداعي فيما أقيده.

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد ، الشاعر الحكيم ، واحد مفاخر الأدب العربي على مر العصور ، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة ، قال أول شعره في حوالي العاشرة من عمره ، وكان أبوه فقير ويقال انه لم يعرف أمه لموتها وهو طفل فتكفلت جدته لأمه مهمة تربيته والانفاق على دراسته والحقته باشهر المدارس العلوية ، هرب صغيراً من فظائع ( القرامطة) بعد غزوهم للكوفة الى بادية السماوة فاتصل بالاعراب وشافههم مدة عامين فتمكن لسانه من العربية ؛ مما جعله فيما بعد من اعظم شعراء العرب ، واكثرهم تمكناً باللغة العربية واعلمهم بقواعدها ومفرداتها ، فله مكانه سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية ، فيوصف بأنه نادرة زمانه ، واعجوبة عصره، فقد ظل شعره الى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء .

ادراك المتنبي بما يمتلك من طاقات وقابليات ذهنية أن مواجهة الحياة يكمن في آفاق اوسع من آفاق الكوفة مما يعني زيادة في التجارب والمعارف ، فرحل الى بغداد برفقة والده ، وحضر بعض حلقات اللغة والأدب ، ثم احترف الشعر ومدح رجال الكوفة وبغداد.

رحل بعدها برفقة والده الى بادية الشام يلتقي القبائل والامراء هناك ، يتصل بهم ويمدحهم ، فتقاذفته دمشق وطرابلس واللاذقية وحمص حتى حط رحاله في إنطاكية حيث أبو العشائر ابن عم سيف الدولة ، وعن طريقه اتصل بسيف الدولة بن حمدان ، وعن طريقه اتصل بسيف الدولة بن حمدان، صاحب حلب الذي جعله شاعره الرسمي فخصه باروع المدائح وسجل بطولاته وملامحه الحربية مع الروم ذوداً عن الثغور العربية .

وقد اثمرت صحبة المتنبي لسيف الدولة اعظم واروع اشعار ديوانه الضخم ، ولكن حساد الشاعر وخصومه تمكنوا – اخيرا- من تغيير مشاعر الأمير نحوه ، وقد ساعدهم على ذلك كبرياء المتنبي لاسيما في بعض الامور ، والتي منها طلبه بأن يلقي شعره قاعداً ، في حين كان الشعراء يلقون اشعارهم واقفين بين يدي الأمير .

ناهيك عن التمجيد لنفسه ووضعها احيانا بصف الممدوح إن لم يرفعها عليه .

كل تلك الامور وغيرها اضطرت الشاعر الى مغادرة حلب والتوجه الى كافور الاخشيدي حاكم مصر الذي وعده بولاية صيدا والحكم امل طالما تمناه المتنبي وسعى اليه .

ومع أنه مدح الأخشديين بمدائح كثيرة إلا أن اشعاره لم تبلغ من الصدق والحرارة ما بلغته اشعاره السابقة في حلب واميرها.

وكان كافور حذراً من المتنبي لما رآه منه ؛ فانتهت رحلة المتنبي الى مصر بالفشل ، وأيضاً كثرة الحساد والوشاة فيها ، فهجاهم المتنبي، وهجا كافور الاخشيدي ومصر هجاء مراً.

وقد احاطه كافور بالرقباء خشية فراره من مصر ، ولكن المتنبي افلت من تلك المراقبة واستطاع التسلل ورهطه الى سيناء هاربا الى العراق.

وصل المتنبي الى الكوفة بعد فراره من مصر ، وتردد بينها وبين بغداد قرابة ثلاث سنوات ، وامتنع عن مدح المهلبي وزير معز الدولة البويهي في بغداد ؛ لترفعه عن مدح من تقل مراتبهم عن منزلة الملوك فحرض عليه الاخير صغار الشعراء يهجونه فلا يرد عليهم ولما ضجر بهم رحل الى بلاد فارس قاصدا عضد الدولة في شيراز ، وقد احاطه عضد الدولة بالرعاية والأجلال والكرم ، فخلد المتنبي هذه الصحبة بثماني قصائد من روائع شعره ، لما اعتزم المتنبي العودة الى العراق الح عليه عضد الدولة بالبقاء الى جانبه، لكن المتنبي كان قد عزم امره بالعودة الى العراق على الرغم من كل المخاطر ، وفي طريقة الى الكوفة تصدى له فاتك الاسدي ومجموعة من المسلحين لعداوة سابقة ففاتك هذا هو خال (ضبة بن يزيد الاسدي) الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة : فوقعت بينهما معركة انتهت بمقتل المتنبي وابنه محسد وبعض اتباعه وهكذا أنتهت حياة الشاعر لعظيم في رمضان سنة 354 .

**شعره وخصائصه الفنية**

شعر المتنبي كان صورة صادقة لعصره ، وحياته ، فهو يحدثنا عما كان في عصره من ثورات ، واضطرابات .

وكان مضرب المثل في متانة اللغة وروعة البلاغة وسمو البيان والمقدرة المجلية في قيادة العمود وطول النفس الشعري ، وقد وصفه النقاد بأنه ( مالئ الدنيا وشاغل الناس) لما تميز خياله بالقوة والخصابة فكانت الفاظه جزلة ، وعباراته رصينة ، تلائم قوة روحه ، وقوة معانيه وخصب اخيلته ، وهو ينطلق في عباراته انطلاقاً ولا يُعنى فيها كثيرا بالمحسنات ، ومن هنا كان لقبه بالمتنبي لنبوغه في الشعر وليس كما يقال عنه بأنه ادعى النبوة لقوله :

ما مُقامي بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيحِ بين اليهودِ

أنا في أمة تداركها الل ه غريبٌ كصالح في ثمودِ

**اغراضه الشعرية**

**1- المدح**

بلغت قصائده في مدح سيف الدولة ثلث شعره او اكثر فضلاً عن مدح كافور وغيرهما ، وقد استكبر عن مدح كثير من الولاة والقادة حتى في صباه ، ومن قصائده في المدح قوله :

وَقَفْتَ ومَا في المَوْتِ شكٌ لوَاقِف كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِِِِم

**2- الهجاء**

كان الشاعر في هذا الغرض يأتي بحكم يجعلها قواعد عامة ، تخضع لمبدأ أو خلق ، وكثيراً ما يلجأ الى التهكم ، كما أن السخط يدفعه الى الهجاء اللاذع في بعض الاحيان ، قوله:

وَتعجبُني رِجلاكَ في النَعلِ إِِنَّني رأَيتكَ ذا نعلٍ إذا كُنتَ حافِيا

**3- الحكمة**

اشتهر المتنبي بالحكمة وذهب كثير من اقواله مجرى الامثال لأنه يتصل بالنفس الإنسانية ، قوله :

لا يَِِِِسَلمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى حتى يُراقَ على جَوَانبِهِ الدّمُ

4**- الفخر**

الشاعر من شعراء الفخر ، وفخره يأتي غالباً في سائر فنونه الشعرية ، فهو لاينسى نفسه ، حين يمدح ، أو يهجو ، أو يرثي ، لهذا نرى روح الفخر شائعة في شعره كقوله :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

5**- الرثاء**

للشاعر رثاء غلب فيه على عاطفته ورثاء سكب الحكمة في تضاعيف مراثيه ، وانبعثت بعض النظرات الفلسفية فيها ، وقصائده العاطفية في الرثاء قوية موثرة تهز المشاعر فقال:

ولـو كان النساء كمَنْ فقـــدنا لفُضلت النساء على الرجالِ

وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهـــــلال